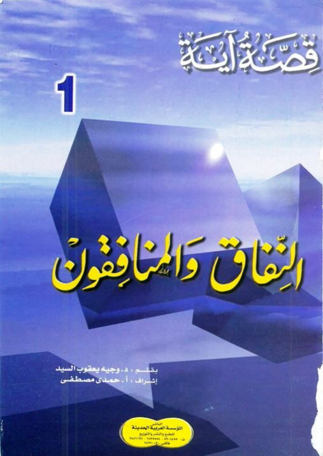

قصة آية
1
النفاق والمنافقون
بقلم : د. وجيه يعقوب السيد
إشراف : أ. حمدى مصطفى
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

النِّفاق والمنافِقون

قال تعالى :

﴿ وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ
شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ٱللَّهُ
يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ
ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ
وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [البقرة : ١٤ - ١٦]

كانَ الحِقْدُ يَملأُ قَلْبَ عَبْدِ اللَّهِ بنِ أُبَيِّ بنِ سَلُول ، والظَّلامُ يُحيطُ به من كُلِّ جانِب . لكنَّه كانَ ضَعيفًا لا يَقْدِرُ على التَّصْريحِ بما في مَكْنُونِ ضَميرِه ، فبَحَثَ عن وسيلَةٍ يَصُدُّ بها عَنْ دينِ اللَّهِ ويُحَرِّضُ ضِدَّ الرَّسولِ ﷺ وصَحابَتِه دُونَ أَنْ يُصيبَهُ أَذًى أَوْ ينالَهُ سُوءٌ ،

وهداهُ شيْطانُهُ إلى حيلةٍ ماكرةٍ وخبيثةٍ ، فأظهرَ الإسْلامَ من طرَفِ لسانِه ، لكنَّهُ أضْمرَ فى قلْبِه الكُفْرَ والنِّفاقَ .

يُعْطيكَ منْ طرْفِ اللِّسانِ حلاوةً
ويرُوغُ منْكَ كما يرُوغُ الثَّعْلبُ

قبْلَ أن يُهاجرَ الرَّسولُ ﷺ إلى المدينة ، كانَ عبْدُ اللَّه بنُ أُبَىِّ بْن سلُولٍ على وشْك أنْ يُصْبحَ ملكًا للأوْسِ والخزْرجِ ، فقدْ جمعُوا لهُ الخرَزَ ، وصنَعوا لهُ التَّاجَ حتى يُتوِّجُوهُ ملكًا ، لكنَّ اللَّهَ أرادَ غيرَ ذلكَ .

فما إنْ هاجرَ الرسُولُ ﷺ إلى المدينة ، حتَّى انْصرفَ النَّاسُ عن ابْنِ أُبَىِّ بْنِ سلُولٍ والْتفُّوا حوْلَ الرَّسولِ ﷺ لكىْ يقْتبسُوا منْ نورِه ، وتسابقَ الصَّحابةُ فى إظْهارِ حفاوتِهمْ وحُبِّهمْ

الْعَمِيق الصَّادق للرَّسُول ﷺ ، حتَّى ضَربوا أروعَ مَثل فى الْحُبِّ الصَّادق النَّبيل ، ممَّا جعل أحَدَ الْمُشْركين يقولُ :

ـ ما رَأيْتُ أحَداً يُحبُّ أحَداً ، كما يُحبُّ أصْحَابُ مُحمَّد مُحمَّداً .

ومُنْذُ هذه الَّلحْظَة ، امتلأ قلْبُ عبْد اللَّه بْن أُبىٍّ بن سَلُول بالْحقْد والكَراهية للإسْلام ولنبىِّ الإسْلام ﷺ وللْمُسْلمين جميعًا ، لكنهُ لَم يجدْ حيلةً يُنفِّس بها عن غيْظه إلاَّ فى الْكَيْد الْخفىِّ والتَّآمر ضدَّ الإسْلام مع كُلِّ أعْدائه .

كانتْ شوْكَةُ الْمُسلمين قويَّةً فى الْمدينة ، فقدْ أيَّد اللَّهُ الْمُسْلمين بنصْره فى مواضع كثيرة ، واتَّحَدَ الْمُهَاجرُونَ والأنْصارُ وأصْبحُوا قُوَّةً حقيقيَّةً تُدافعُ عن الإسْلام ، ولذلك فقدْ لجأ

عَبْـدُ اللَّه بْن أُبَيٍّ بْن سَلُول إلى هذه الوَسِـيلَة الْمَاكِرَة ، فَأَظْهـرَ الإسْلامَ وأَضْمَر فى نَفْسِه الْكُفْرَ . ادَّعى أنَّه أَسْلَمَ ، وقَلْبُهُ يَغْلى بالْحِقْدِ والْكَرَاهِيَة للإسْلام والْمُسْلمين ، ولذلك فقَدْ كانَ النِّفاقُ هو وسيلَتَهُ هو وأتْبَاعُهُ فى مُحَارَبَة الْمُسلمينَ والْكَيْد لَهُمْ .

فَذَاتَ يومٍ وبَيْنَمَا كانَ عَبْدُ اللَّه بنُ أُبَيٍّ بن سَلُول وأتْبَاعُهُ يَسِيرُونَ فى الطَّرِيق ، إذْ أبْصَرُوا جَمَاعَةً من صَحَابة الرَّسُول ﷺ ، فيهم أبُوبَكْرٍ الصِّدِّيق وعُمَر بْنُ الْخطَّاب وعَلى بْنُ أَبى طَالِب ، فلمَّا رَآهُمْ عَبْدُ اللَّه بنُ أُبَيٍّ بن سَلُول زَعِيمُ الْمُنَافقين قالَ لأتْبَاعه والْغَيْظُ يمْلأُ قَلْبَه :

ـ انْظُرُوا كَيْفَ أَتَعامَلُ مَعَ هَؤُلاءِ السُّفَهاء ؟

فأيَّدُوهُ وسَارُوا خَلْفَه حتى يَرَوْا ماذا يَصْنَعُ .

تقدمَ عبدُ اللَّه بن أُبَىّ بن سَلُول ، وسلَّم على أَبى بَكْر ، وابْتسامةٌ عريضةٌ تعْلو وَجْهَهُ وقال فى حفاوة وترْحاب :

ـ مَرْحبًا بالصِّدِّيق ، سيِّد بنى تَيْم وشَيْخ الإسْلام ، وثانى اثْنَيْن إذْهُما فى الْغار ، الْباذِل نَفْسه وماله لرسول اللَّه ﷺ .

ولم يَزِدْ أبو بكْرٍ الصِّدِّيقُ على أنْ حيَّاه ثم هَمَّ بالانْصراف .

فأقْبل ابنُ سَلول على عُمَر بْنِ الْخطَّاب وأخذَ بيده وهو يحْتضنُه ويقولُ :

ـ مَرْحَبًا بسيِّد بنى عَدِىِّ بْن كَعْب ، الْفارُوق الْقَوِىّ فى دينِ اللَّه ، الْباذِل نَفْسه وماله لرسُول اللَّه ﷺ .

ثم سلَّمَ على علىِّ بن أبى طالِب وبالَغ فى

الاحْتفاء به وقالَ وهو يُربِّتُ على كَتفه :

مَرْحَبًا بابْنِ عمِّ رسُولِ اللَّهِ ﷺ ، وسيِّدِ بَنى هاشمٍ ما عَدا رسُولَ اللَّه ﷺ .

وفعَلَ ابْنُ أُبَىِّ بن سَلُول ذلك معَ باقى الصَّحابَةِ رِضْوانُ الله عليهم قبْلَ أنْ يمْضُوا إلَى رسول الله ﷺ .

وبعْدَ أن انصَرفَ الصَّحَابةُ رِضوانُ اللَّه عليهِمْ مَالَ عبْدُ اللَّه بنُ أُبَىِّ بْنِ سَلُول على أتْباعه وقالَ :

ـ كيْفَ رأيْتُمُونى فعلْتُ بهؤلاء ؟

فقَالوا وهمْ يُغَالبُونَ الضَّحكَ :

ـ لقَدْ لعبْتَ بعُقولِهِمْ ، حتى كَادُوا يُصدِّقُونَ ما قُلْتَهُ عَنْهُمْ .

فقالَ عبدُ اللَّه بنُ أبىِّ بنِ سَلولٍ :

ـ يجبُ أنْ تتعلَّموا منْ ذلكَ ، فإذا رأيتُمُوهُمْ ، فافْعَلُوا كما فَعَلْتُ !

وضحكَ عبدُ الله بنُ أُبىِّ بن سلولٍ هو وأتباعُهُ منْ هذه الْحيلةِ الْماكرةِ وهذه الطَّريقة الْخَبيثة التى سَخروا بها منْ صَحابة الرَّسُول ﷺ .

وعنْدما عادَ الصَّحابةُ إلى الرَّسول ﷺ أخْبرُوهُ بما حَدثَ منْ عبْد الله بْن أُبىِّ بن سلول ، ونزلت الآياتُ الْكريمةُ لتفْضحَ أمْرَ هؤلاء الْمُنافقين .

وانْكشفَ الْمستورُ بالنِّسْبة لهؤلاء الْمنافقين ، بعْدَ أنْ أعْلمَ اللّهُ رسُولَهُ شأْنَ هؤلاء وخداعَهُمْ .

فهمْ يتظاهرُونَ بالإيمانِ حتى ينْجُوا منْ عقاب الْمُؤْمنينَ ، ولا يهتمُّونَ بعقابِ اللهِ لهمْ فى الآخرةِ ، ولوْ علموا شدَّةَ عذابِ الله لامْتنعُوا عنْ أفْعالهمْ .

وأخبرَ اللَّهُ رسولَه ﷺ أنه عزَ وجلَّ سينْتصرُ للمُسْلمينَ وسَيثْأرُ لهم من هؤلاء المُنافقينَ ، سواءً كانَ ذلكَ في الدُّنْيا أوْ في الآخرةِ ، فإذا كانَ المُنافقونَ يستهزئُونَ من الَّذين آمَنُوا فإنَّ اللهَ ـ تعالَى ـ سوفَ يستهزئُ من هؤلاءِ المُنافقينَ ، وسوفَ يردُّ للمؤمنينَ اعتبارَهُمْ .

فقدْ رُوِىَ في تفسيرِ قوْلِه تعالَى :

﴿ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ ﴾

أنَّ اللهَ ـ تعالَى ـ يفْتحُ للمُنافقينَ بابَ جهنَّمَ منَ الْجنَّةِ ، ثم يُقالُ لهُمْ :

ـ تعَالَوْا .

فيُقبلُونَ يسْبحونَ في النَّارِ ، والمُؤمنونَ على الأرائكِ ينْظُرونَ إليْهِمْ ، فإذا وصَلُوا إلى بابِ

الْجَنَّة سُدَّ فى وُجُوههم ، فيضْحكُ الْمؤمنون مِنْهُمْ . فذلكَ قولُه تعالى :

﴿ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾

[المطففين : ٣٤ ـ ٣٥]

إنَّ الْمنافقينَ الَّذينَ سَخِروُا من الْمُسْلمين ذات يَوْمٍ ، وحَسبُوا أنَّ ذلكَ نهايةُ الْمطاف سَوْفَ يَذُوقونَ من نَفْسِ الْكَأْس ، وشتَّان بيْنَ الْكأْسَيْن ، فهمْ لَمْ يَزيدُوا علَى أنْ أتَوْا بحركات صبْيانيَّة وظنُّوا أنهمْ بتلْكَ الْحركات قدْ نالوا ما يُريدون . أَمَّا كَأْسُ الْعذاب فى نارِ جهنَّم فهى كَأْسٌ مُرَّةٌ مريرةٌ ، يَتَجرَّعُها الْمنافقُ والْكافرُ وهو لا يكادُ يُسيغُها .

إنَّ النِّفاقَ هو أخْطَرُ الآفَات الَّتى قدْ يُبْتَلى بها

إنْسانٌ ، فالْمنافقُ إنسانٌ لا مَبدأَ لهُ ، ولا هدَفَ لهُ في الْحياةِ إلاَّ الْوصُولُ إلَى مَصْلَحته وإرْضاءِ ذاته وأهْوائه .

ولذلكَ فإنَّ اللهَ ـ تعالَى ـ قدْ توعَّدَ الْمنافقينَ أمْثالَ عبْدِ اللَّه بْن أُبَيِّ بن سَلُول بأشَدِّ الْعذاب .

قالَ تعالَى :

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ ﴾ [النساء : ١٤٥]

قالَ عبدُ اللَّه بنُ عُمرَ رَضىَ اللَّهُ عنْهُ :

ـ إنَّ أشَدَّ النَّاس عذَابًا يوْمَ القيامة ثلاثةٌ :

الْمُنافقونَ ، ومَنْ كفَر منْ أصْحَاب الْمائدَة ، وآلُ فرْعوْنَ . وتصْديقُ ذلكَ في كتَاب اللَّه ـ تعالَى ـ :

قالَ تعالَى في شأْن الْمنافقينَ :

﴿ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾

وقالَ تعالَى فى أَصْحابِ الْمائدَةِ :

﴿ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾

[المائدة : ١١٥]

وقالَ فِى آلِ فِرْعونَ :

﴿ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾ ﴾

[غافر : ٤٦]

وقالَ تعالَى :

﴿ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ
بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ
أَيْدِيَهُمْ نَسُواْ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ
ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ
وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا هِىَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ
ٱللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ [التوبة : ٦٧ ـ ٦٨]

وقد حرص الرسول ﷺ على أن يتحلى المسلمون بالصدق وينأوا بأنفسهم عن النفاق والرياء حتى يتقبل الله منهم صالح أعمالهم ، فرب إنسان ليس له من عمله سوى التعب والنصب .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد ، فأتى به ، فعرفه نعمته فعرفها ـ أى أن الله ـ سبحانه وتعالى ـ عرف عبده بالنعم التى أنعم بها عليه فى الدنيا ـ قال : فما عملت فيها ؟ قال : قاتلت فيك حتى استشهدت ، قال : كذبت ، ولكنك قاتلت لأن يقال : جرىء ! فقد قيل . ثم أمر به ، فسحب على وجهه

حتَّى أُلْقِيَ فِى النَّار .

ورجلٌ تعلَّمَ الْعِلْمَ وعلَّمَهُ ، وقَرأَ الْقرآنَ ، فأُتِىَ به ، فَعرَّفَهُ نِعَمهُ فعرَفَهَا . قالَ فما عَملْتَ فيها ؟ قـالَ : تعلَّمْتُ الْعِلْمَ وعلَّمْتُـهُ ، وقَـرأْتُ فـيكَ الْقرآنَ ، قالَ : كذَبْتَ ، ولكنَّكَ تعلَّمْتَ لِيُقَالَ : عَالِمٌ ! وقرأْتَ الْقرآنَ لِيُقَالَ : هو قارئٌ ! فَقَدْ قِيلَ ، ثم أُمِرَ به ، فسُحِبَ على وجْهِهِ حتى أُلْقِيَ فى النَّار .

ورَجُلٌ وسَّعَ اللهُ علَيْـهِ ، وأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ ، فأُتِىَ به فعرَّفَهُ نِعَمَهُ ، فَعرفَها . قالَ : فما عَملْتَ فيها ؟ قالَ : ما تركْتُ منْ سَبِيلٍ تُحبُّ أَنْ يُنْفقَ فيها إلا أنْفقْتُ فيها لكَ . قال : كذَبْتَ ، ولكنَّكَ فعلْتَ لِيُقالَ : هوَ جوادٌ ! فَقَدْ قِيلَ . ثم أُمِرَ به فسُحِبَ على وجْهِهِ ثم أُلْقِيَ فى النَّار » . (رواه مسلم)

ولعَلَّ الذى يتأمَّلُ هذا الْحديثَ الشَّريف يُفْزِعُهُ هذا الْمَنْظَرُ لثلاثة رجال أحَدُهُم اسْتُشْهِدَ ، والآخَرُ تعلَّمَ وعلَّمَ وقرأ الْقُرآنَ ، والثَّالثُ تصدَّقَ وأنْفقَ ، ومع ذلك فهمْ يدخلون النَّارَ . . تُرَى ما السَّبَبُ ؟ وما الَّذى أوْصَلَهُم إلى هذا الْمَصير ؟

إنَّ السَّببَ فى ذلكَ كما أشارَ رَسولُ ﷺ يرْجعُ إلى أخْطَر آفة يُبْتَلى بها إنْسَانٌ كما أشَرْنا وهى النِّفاقُ والرِّياءُ ، حيْثُ يقْصدُ الإنْسانُ منْ وراء ما يَقُومُ به منْ أعْمالٍ أنْ يتحدَّثَ عنهُ النَّاسُ فيمدَحُوهُ ويَشْكُرُوهُ ، ولا يَقْصدُ بها وجْهَ اللَّه ، ولذلكَ لمْ يَتَقبَّلِ اللَّهُ منْهُ أعْمالَهُ ، وأدْخَلَهُ النَّارَ .

وقدْ أخْبرَنا الرسُولُ ﷺ بصفَات الْمُنافق حتى نَبْتَعدَ عنْها ونَنْبذَها فقال ﷺ :

« آيَهُ الْمنافِقِ ثلاثٌ : إذَا حَـدَّثَ كَـذَبَ ، وإذَا وَعَـدَ أَخْلَفَ ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَـانَ » وفى روايةٍ : وإذَا خاصَمَ فَجَرَ .

نسْأَلُ اللَّهَ ـ تعالَى ـ أنْ يُطهِّرَ قُلُوبَنَا من النِّفاقِ والرِّياءِ ومن الْغَدْرِ والْخيانَةِ ، وأنْ يرزُقَنا الصِّدْقَ ، والإخْلاصَ فى الْقَوْلِ والْعَملِ ، وأنْ يجْعَلَ الْقرآنَ الكَريمَ ربيعَ قُلُوبنا وجلاءَ أحْزاننا ونُورَ أبْصارنا وأنْ يجْـعَلَهُ الْوَارِثَ منَّا ، وأنْ يَجْـعَلنَا مِـمَّنْ يُجَاهِدونَ ويتعَلَّمـونَ ويُنْفقونَ فى سَبيلِ اللَّهِ بإخْلاصٍ وصِدْقٍ ويَقينٍ !

رقم الإيداع : ١٧٥٧٧
الترقيم الدولى : ٧ ـ ٣٦٢ ـ ٢٦٦ ـ ٩٧٧